سورية منبع الرسالات الإنسانية

*يوسف المسمار

- رسالات حضارية متعاقبة قدّمتها أمتنا لتمدين الأمم وترقية الشعوب الى سويتها .

- سورية منبع الرسالات الانسانية الهادية ليسود العدل والرحمة ويبطل الاحتلال والعدوان.

- وصية جلجامش السورية الحكيمة تقول : عمِّروا الأرض مدنياً ولا تفسدوا فيها من مهدكم الى لحدكم ليكملَ أبناؤكم العمار المديني المدني، ويتمتع به أحفادكم ويزيدوه ألقاً في تعاقب أجيالهم لتكونوا بذلك قدوة مدنية تمدينية للأمم ، وتكونوا أيضاً جديرين بموهبة العقل الذي فيكم ، وبممتازية البيئة الطبيعية التي حبتكم حكمة القدر أن تتفاعلوا معها بمواهبكم فتقدم لكم كل الامكانات التي تُنشيء سيدة حضارات الانسان على الأرض فكراً وحكمة وعلماً وانسانية وتمديناً .

- إن رسالة سورية الدائمة الى جميع الشعوب هي أن تمارس البطولة وتعمل وتعمل بما تقتضيه آية الحكمة السورية المُثلى التي أبداً تقول : " ما أعطيَ لأحد أن

يهين كرامة أحد "، وما أعطيَ لأمة أن تظلم أمة . وما كُتبَ على على أحد أن يقبل الإهانة من أحد ، وما فُرضَ على أمة أن تخضع لظلم أمة قدراً .

- ومن القمة التي وصل اليها زينون،يطل على البشرية يسوع برسالة المحبة الانسانية السورية العالمية التي راحت تستأصل جذورالكراهية والبغضاء من النفوس ، وتطارد فلول الإجرام والارهاب بممارسة المحبة فتسطع على الوجود آيته الكبرى : عيشوا المحبة ومارسوها من المهد الى اللحد فيعم السلام ، وتصلح الحياة.

رسالة العمار السورية

تميزت الأمة السورية بأنها صدّرت للعالم رسالة ملحمة الخليقة على يد بطلها جلجامش الذي رأى الخلود في البناء والعمار فبنى اول مدينة في التاريخ اسمها "**أور**" وكلمة أور تعني: المدينة، وكأننا به يطلق وصيته الحكيمة التي تقول: عمِّروا الأرض مدنياً ولا تفسدوا فيها من مهدكم الى لحدكم ليكملَ أبناؤكم العمار المديني المدني، ويتمتع به أحفادكم ويزيدوه ألقاً في تعاقب أجيالهم لتكونوا بذلك قدوة مدنية تمدينية للأمم، وتكونوا أيضاً جديرين بموهبة العقل الذي فيكم، وبممتازية البيئة الطبيعية التي حبتكم حكمة القدر أن تتفاعلوا معها بمواهبكم فتقدم لكم كل الامكانات التي تُنشيء سيدة حضارات الانسان على الأرض فكراً وحكمة وعلماً وانسانية وتمديناً التي بادلها أشرار الشعوب بكل ما تقيأت به الهمجية من فظائع العداوات والتوحش.

رسالة القانون والنظام

وبالرغم من كل العداوات والتوحش الهمجي بعد رسالة العمار والبناء استمرت الأمة السورية تقدّم كل خير وجميل للانسانية، انبثقت من صميم هذه الأمة رسالة أخرى انطلقت لتنظم العلاقات بين ابناء الوطن ومع الآخرين، فكانت رسالة القانون المنظم لشؤون الحياة القائم على الحق والعدل، والمنسّق والشارح للحقوق والواجبات الانسانية، فبلغت ذروتها على ايدي القائد الحكيم **حمورابي** الذي يعني أسمه أو لقبه: حبيب الشعب، والذي لا تزال البشرية تتحدث عن ابداعه المتميّز في التشريع رغم طول السنين، ولا نزال نسمع صوته آتيا من وراء الحقب يقول: احترموا نظام العدل وقانون الصلاح، ولا تقبلوا فوضى الظلم والفساد من مهدكم الى لحدكم لكي تؤسسوا لأبنائكم وذراريكم حياة الأمان والازدهار، واعلموا أنني ما وضعت دستور القوانين من أجل دستور وقوانين، بل وضعتها من أجل تمدن الشعب ورقيه وتقدمه. وهذا هو الحق والعدل. فاذا أصبحت القوانين فوق الحق والعدل فلا خير في القوانين ولا في الدساتير ولن يبقى الحق حقاً ولا العدل عدلاً، فاحرصوا أن يبقى الحق والعدل فوق القوانين فتبقى الحضارة هي المسار الصحيح في التمدين والارتقاء.

رسالة اكتشف فكرة الخالق القدير العليم

وفي أرض سورية ومن بيئة سورية الطبيعية الممتازة أيضاً ومن بناتها وابنائها انطلقت رسالة جديدة باتجاه السماء مكتشفة فكرة الله الخالق القادرعلى كل شيء، الحي والخالد، نابذة كل فكر يسيء الى فكرة وحدانية الإله ومجده وعظمته التي تعبّر عن عظمة الانسان وفكره، فكانت حروب القائد الحكيم العالم **"نبوخذ نصر"**,

رسالة العلاقات الانسانية الراقية

وفي سورية بدأت رسالة التآخي الاجتماعي القومي الانساني ومن سورية كانت رسالة التعارف بين الشعوب، وتوطيد علاقات التفاهم الانسانية بينها، فإبتكر الانسان السوري في سورية حروف الهجاء لتحفظ التراث، وتكون ذاكرة لا تموت بموت أحد من الناس بل تستمر دائمة بديمومة المجتمع في تعاقب أجياله، فجمع الانسان المجتمعي السوري الحروف الهجائية التي أبدعها في أول كتاب عرفه البشر عُرف باسم "الكتاب المقدس "أي (بيبليا من بيبلوس) أي من مدينة جبيل) لأن كلمة المقدس تعني الدائم والخالد بخلود الوعيّ والعلم والهدى والفضيلة في الانسان.

ومن تسمية ذلك الكتاب الأم انسحبت تسمية كلمة **"المقدس"** اي الخالد الهادي الدائم التمجيد على جميع الكتب التي سُميت مقدسة فيما بعد من إلهية وانسانية. فليس معنى كلمة الكتاب المقدّس الا **"الخالد الهاد"**. فاذا بطلت الهداية في أي كتاب فلا يمكن تسميته الا **"بالمدنّس"**. ورسالة الكتاب هذه ليست رسالة فرد واحد بقدر ما هي رسالة مجتمع، وليست انتاج فرد خاص لصالح نفسه المحدودة بقدر ماهي انتاج مجتمع عام لصالح جميع أفراده ولجميع أجياله المستمرة الى ما سوف تكون الحياة ، ولصالح البشرية جمعاء.

ورسالة حروف الهجاء والكتاب تقول كسابقاتها من الرسالات للناس حافظوا على ارثكم الثقافي وكل ما تبدعونه لكي تبقى ذاكرتكم حاضرة في زمنكم وفي مستقبلكم فالأمة التي لا تاريخ حضاري لها هي مجموع هش الجذور لا يقوى على الحياة والبقاء.

رسالة المناقب الاخلاقية الانسانية

وتستمر رسالات الأمة السورية في التاريخ برسالة انسانية مناقبية أخلاقية هي كرسالاتها السابقة عامة وكونية، فيطلقها الفيلسوف السوري زينون الرواقي فلسفة مناقبية متجددة تعبّر عم مزايا ومميزات الانسان السوري الروحية وطبيعته الخيّرة خيراً وحقاً وعدلاً وجمالاً، وفي الوقت نفسه رسالة اخلاقية انسانية جديدة عامة تتوجه الى الناس جميعاً في كل مكان والى جميع الأمم بما تمتاز وتتميّز به من حكمة ومعرفة وفضيلة وتقول:عيشوا الحكمة، ومارسوا المناقب، وتزيّنوا بالاخلاق الراقية، ولا تتخلواعن الفضيلة والصفات الحميدة من المهد الى اللحد لكي تكون حياتكم جميلة راقية، وتستمر جميلة راقية وتزداد تألقاً كلما امتد بها الزمان وتعاقبت عصوره.

رسالة المحبة والرحمة الانسانيتين

ومن القمة التي وصل اليها زينون ، يطل على البشرية من صميم الأرومة الكنعانية السورية يسوع ومحمد برسالتي المحبة الرحمة فيكتمل بالمحبة والرحمة الانسانيتين الاسلام لرب العالمين في رسالتيه : المسيحية والمحمدية لاستئصال جذورالكراهية والحقد من النفوس ، وليتطارد فلول الإجرام والعدوان بممارسة المحبة والعمل بالرحمة فتسطع على الوجود الآية الكبرى : عيشوا المحبة ومارسوها ، وتعاملوا فيما بينكم بالرحمة وعاملوا الأمم كما تحبون ان تعاملكم الأمم من المهد الى اللحد فيعم السلام ، وتصلح الحياة ، وتكونون جديرين بموهبة العقل المميز بين الحق والباطل . فالحياة بدون المحبة والرحمة ظلام ، ومن يسير في ظلام لا مفر له من الوقوع في الهاوية .فاذا كان الانسان- الفرد جسداً باليا ، فان الانسان-المجتمع الانساني الخالد هو وعيّ وحضارة وتمدن ورقي . والانسانية تتقدم وترتقي بالحضارة التي تقوم على الحق والعدل ، والمدنية ترتقي بالعقل السليم الحكيم المبدع الخلاق .

رسالة القومية الاجتماعية الانسانية

ولم تتوقف الأمة السورية الانسانية يوماً عن العطاء الرسالي، بل إستمرت تعطي وتعطي بدون انقطاع لأن العقل ما وُجدَ لينشل ويتجمد، بل وُجدَ ليستمر فاعلاً مبدعاً، فكانت رسالة القومية الاجتماعية الانسانية التي نشأت وتقوم على اساس تلك الرسالات العظيمة، وتعاليمها الراقية السامية التي دعت الى البناء، والنظام والتنظيم ووحدانية الله رب العالمين، وابتكار خزانة ذاكرات الشعوب في حروف الهجاء، والاخلاق العالية، والحكمة والمحبة والرحمة والعلم، لتشيد صرح البناء القومي الاجتماعي الذي رابطته المتينة الإخاء القومي الاجتماعي الانساني الذي يفيض بالخير والرقي على سورية ومحيطها العربي والانسانية جمعاء.

وهذه الرسالة تدعو الناس الى عالمية عولمة قوامها العقل الإنساني المركب من جميع عقليات الأمم والشعوب المتفاعلة فيما بينها، والمتفاعلة مع بيئاتها الطبيعة للحفاظ على سلامة الكوكب الذي نعيش عليه، وسلام البشرية التي نحن جزء منها. فتصل الانسانية بذلك الى طور جديد يُمكّنها من حيازة سلطان جديد تنفذ به من أطباق السموات والأرض الى عالم لا يزال بالنسبة الينا من المخبآت البعيدة المنال.

انها رسالة أمتنا الغنية بموقعها، والمتميزة ببيئتها، والمتعبقرة بإنسانها، والمتنوعة بمواهبها، والمبدعة بمؤهلاتها، والانسانية بكل مطامحها.

هذه هي رسالة الأخوة القومية الاجتماعية التي تشيد البناء الاجتماعي التمدني الجديد منطلقةً من الانسان- الفرد المواطن الصالح المتنور الذي استيقظ فيه وجدانه الاجتماعي، الى رحاب الانسان- المجتمع الحر الراقي الصاعد بالحكمة والعلم والاخلاق والكشف

والابداع الى طور الانسان- العالمي الانساني الذي سيطل حتماً على العوالم الأرقى والأعلى والأسمى.

وهذه الرسالة تقوم على أساس الواقع والعلم بعقل منفتح نفّاذ لايستسلم أمام المغلقات، ولاتنهار قدرته أمام عاديات الزمان، لأن نفحة الألوهة التي فيه تطلق ميزة الخلق والابداع وتجعله قادرا على التجاوز وتخطي جميع الصعاب.

رسالة الأمة السورية الدائمة الى الأمم

أن ميزة الانسان الكبرى تكمن في العقل، ولذلك فإن رسالات الرقيّ والتسامي سوف تستمرمع الاجيال الى أن يأتي اليوم الذي يمتليء فيه العالم بالمحبة والرحمة والحكمة والفضيلة والمعرفة والعلم والحق والعدل والصلاح والسلام والانسجام والتآخي بين الناس، ولا يتسع بعدها لذرة من الكراهية والنقمة والجهل والغواية والباطل والظلم والفساد والويل والتعاسة والشقاء.

والرسالة السورية الحضارية الانسانية الحديثة هي رسالة الانسان- الأمة الحضارية وليست -الأمة الشوفينية الهمجية الطاغية المتوحشة وليست رسالة الانسان - الفرد أو رسالة انسان-الفئة الأقلية أو الأقليات أو الانسان الفئة - الأكثرية أو الأكثريات.

انها رسالة الانسان المادي - الروحي (المدرحي) الساعي الى الارتقاء، وليست رسالة الانسان - المادي الغارق في المادية المُتفتتة غبارا في فضاء الوجود، ولا رسالة الانسان - الروحي الهائم خلف سراب الظنون والتخمينات والأوهام وراء هذا العالم.

إنها رسالة انسان - الأمة الواحدة الموحّدة المهتدية الهادية الناهضة بنفسها وبغيرها من الأمم وغير المكتفية بحالة أو وضع او درجة ، ولا

المسترخية عند قمة من قمم الرقي الانساني بل المتحفّزة دائما وأبداً الى بلوغ ما يترآى لها من القمم وما بعد ما توارى من القمم

خطط الهمجية العدوانية على أمتنا والعالم

بعد هذه اللمحة عن الرسالات السورية الانسانية، لا يمكننا نكران الخطط الهمجية الفظيعة الكبرى التي اشتركت في حملها الينا الشعوب والدول الغازية منذ فجرالتاريخ حتى اليوم حين قدم الى بلادنا ذلك الملك المشهور باجرامه وهمجيته الاسكندر المقدوني الذي دمَّر مدينة صور وصلب أهلنا لأنهم لم يستسلموا لهمجيته ووحشيته، ويوم دمّر قورش الفارسي مدينة بابل ونسف معالم الحضارة في القضاء على أسس المدنية. ولا ننسى دور أمبراطورية روما حين أحرقت مدينة قرطاجة وخرَّبت معالمها وأبادت شعبها.

وهل ننسى ما فعلته الامبراطورية الرومانية يوم اجتاحت بجيوشها مملكة تدمر وخربّت معابدها ومعالمها وذبحت أبناءها وسرقت آثارها؟

وهل يغيب هولاكو عن الذاكرة واجتياحه لبغداد وتعذيبه وقتله لأهلها وعلمائها واحراق مكتباتها ورمي كتبها وفلسفاتها وعلومها وفنونها ومآثرها في نهر دجلة ،وهدم ودمار وحرق آثارها وكنائزها ؟

وهل أبقت لنا الامبراطورية العثمانية مدرسة من مدارس حضارتنا تدلنا على تاريخنا وترشدنا الى مستقبلنا سوى دكاكين الاذلال والتحقير والانصياع بجبن للمستبدين الجائرين في الداخل والخارج؟

وهل ينبغي أن ننسى ما فعلته دول بريطانا وفرنسا وحلفاؤهما في القرن الماضي من تفتيت وطننا، وتمزيق أمتنا وقتل أبنائنا وتدمير دمشق وتثبيت خنجر الكيان اليهودي في قلبنا؟

وهل يجوز لنا ان ننسى تآمر الدول الكبرى علينا ومنظمتها التي تسمى زورا وبهتانا وبطلانا "منظمة أمم متحدة" التي خرست عن احتلال الجيش اليهودي لبيروت وغطت اعتدائه وتدميره لمعالم لبنان وقتل ابنائه بأرسال الجيوش المتعددة الجنسيات من أميركية وانكليزية وفرنسية وايطالية لتساعده على شرعنة عدوانه؟.

انها خطط العدوان والتعدى الكبرى التي اشتركت بحملها تلك الدول الى أمتنا ولا نزال نعاني منها في العراق وفلسطين ولبنان ولهيبها في الشام والأردن والكويت ليجتاح العالم العربي كله باسم المدنية والحضارة وحقوق الانسان لأن الرسالات التي انطلقت من أمتنا والداعية الى البناء ومواصلة العمران، والتشريع، ووحدانية الله، واختراع الكتابة والقراءة ، والتمرس بالأخلاق والفضائل، وممارسة المحبة والرحمة، وتمجيد العلم، والدعوة الى الإخاء القومي الانساني .

ان جميع رسالات الحضارة السورية الى الأمم بنظر اصحاب خطط النفسية الشريرة، وروحية التعدي ومواصلة العدوان والاجرام ليست الا محرّضاً على الغيرة من أمتنا والحقد عليها والاستزادة في العدوان.

انها حرب مصيرية طاحنة لن تتوقف ما دام في هذا الوجود معتدي، وما دامت رسالة التعدي والعدوان هي دين المعتدين. فحكمة الحِكَم هي دائماً: "**ليس لإبن النور صديق بين أبناء الظلمة. فبقدر ما يبذل لهم من المحبة ، يبذلون له من الكراهية والبغضاء.**"

الخيار الحضاري الذي لا خيار غيره

ولرفع شعلة النورعاليا أمام شعبنا، فان الخيار الوحيد أمامنا هو خيار العز، وبناء القوة، وممارسة البطولة المؤيدة بصحة العقيدة.

وإلى أن يأتي زمن نشوء ذلك العالم الجميل الخيّر، فانه لا بداية لنا بغير الوعيّ، ولا مفر لنا من الصراع لأن الصراع هو شرط البقاء والتقدم. ولا مهرب لنا من وعيّ انتمائنا، ولا يحق لنا ان نكتفي بالنيات والمنى، ولا ينبغي أن نستسلم للعيش على التبرير والذرائع، ولا يحق لنا ان نتساهل في الحق، ولا يجوز لنا السكوت عن الفساد والباطل، ولامبرر لأن نتخلف عن اجتثاث بذور الفتن في مجتمعنا.

ورسالتنا الجديدة اليوم الى أنفسنا والى العالم أجمع هي أن نستيقظ ونوقظ ونستمر في ايقاظ أعزاء وأحرار ومثقفي جميع الشعوب وهي أن يتنبهوا وينتبهوا الى خطر جرثومة أخطبوط التكبُّر والتغطرس والغيِّ الذي يطل برؤوسه المتعددة من خلال الصهيونية والادارة الأميركانية والادارات الاستعمارية الأوروبية التي تدور في فلكها، والمرتبطة بالمحافل الخفية التي تعد الجرائم المنظمة بحق الشعوب وتسوّقها وتعمل على تنفيذها من أجل اقامة نظام عالمي يقوم على العدوان والتعدي واستعباد الشعوب، ولا يرغب بديلا عن شريعة الظلم والباطل والنهب والسلب والقتل والتدمير.

لقد انتصرت الأمة السورية دائما خلال تاريخها، وبفضل رسالاتها على كل تنين كان يظهر ويهدد وجودها ليقضي عليها، كما كان يهدد ثقافات الأمم ومدنياتها وحضاراتها، وستثبت مرة أخرى انها قادرة اليوم على الانتصار على كل تنين وصرعه، ولن تترك العالم فريسة لمن يتوهمون أن إلههم الوثني الملعون اصطفاهم وفضّلهم وأمرهم بخداع الناس وسرقتهم وافساد حياتهم واستعبادهم.

فاقتلاع الخبث والخبثاء من الوجود هو فضيلة الفضائل، ولا معنى لأي دين لا يجتث بذور الخبث والفتن، ويستمر في اجتثاثها الى آخر الحياة.

إن رسالة سورية الدائمة الى جميع الشعوب هي أن تمارس البطولة وتعمل بما تقتضيه آيةُ الحكمة السورية المثلى التي أبدا تقول: **"ما أُعطيَ لأحدٍ أن يُهين كرامة أحد"**، وما أعطيَ لأمة أن تظلم أمة. وما كُتِبَ على أحدٍ أن يقبل الإهانة من أحد، وما فُرض على أمة أن تخضع لظلم أمة قدرا. والخيارُ الوحيدُ في الوجود هو حياة العز التي باركها الخالق بتسمية نفسه عزيزاً محباً رحيماً.

***كاتب وشاعر قومي مقيم في البرازيل.**